تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 8- سورة التوبة | من الأية 91 إلى 22

عبدالرحمن العجلان

السلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في - 00:00:01

سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله. واولئك هم الفائزون. نبشرهم ربهم برحمة ورضواني وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم بسم الله - 00:00:31

يقول الله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كما امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم - 00:00:52

اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها ونعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم الاستفهام هنا في قوله جل وعلا اجعلتم سقاية الحاج - 00:01:21

الاستفهام لماذا للانكار وسبب نزول هذه الاية قيل ان جماعة كانوا كما روى النعمان ابن بشير رضي الله عنه كانوا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة - 00:01:47

وقال بعضهم لا ابالي بعد الاسلام باي عمل اذا كنت ممن يعمر المسجد الحرام وقال الاخر لا ابالي اذا كنت ممن يسقي الحجيج يقول النعمان ابن بشير رضي الله عنه فانتهرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:02:10

فاذا انتهت صلاة الجمعة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم به يقول فانزل الله جل وعلا اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر - 00:02:43

وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله يعني الايمان بالله واليوم الاخر لا يساوي عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج بل الايمان بالله افضل من كل عمل وجهاد في سبيل الله - 00:03:04

وقيل في سبب نزولها ان الصحابة رضوان الله عليهم لما اسر العباس رضي الله عنه في موقعة بدر اخذ الصحابة يلومونه وكان اشدهم في ذلك علي ابن ابي طالب رضي الله عنه - 00:03:28

ويوضح العباس كيف كفرت بالله وقطعت الرحم وانكرت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس ما لكم يعيروننا بمساوينا ولا تذكرون شيئا من محاسننا؟ فقال علي رضي الله عنه وهل لكم من محاسن - 00:03:53

قال العباس نعم نحن نعمر المسجد الحرام ونسقي الحجيج ونفك العاني ونطعم الجائع فهذه اعمالنا حسنة فانزل الله جل وعلا اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر - 00:04:20

وهو جل وعلا ينكر على من جعل هذه الافعال سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مع الكفر مساوية للايمان بالله واليوم الاخر وجهاد في سبيله وسقاية وعمارة مصدران يسقي سقاية وعمر يعمر عمارة - 00:04:55

ونفى جل وعلا انها مثل الايمان بالله واليوم الاخر والسقاية هنا جاءت بلفظ المصدر فجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

والمشبه به جاء بغير لفظ المصدر يا من امن بالله - 00:05:33
امن اسم فاعل واليوم الاخر وجاهد اسم فاعل وورد هنا تشبيه المسلم نفي تشبيه المصدر باسم الفاعل ولذا قال بعض المفسرين من اجل ان يكون المشبه مثل المشبه به قال - 00:06:09
هنا محذوف دل عليه السياق اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ايماني من امن بالله واليوم الاخر وجهاد من جاهد في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجعل هنا مصدرا دل عليه السياق - 00:06:47
كايمان من امن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله باموالهم وانفسهم يقول الله جل وعلا لا يستوون عند الله لا يستوي عمل هؤلاء وعمل هؤلاء لا يقارن بينهما ايهما افضل - 00:07:23
ما تبين من سياق هذه الاية حتى الان لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين من قوله جل وعلا والله لا يهدي القوم الظالمين التفضيل لان السقاية والعمارة - 00:08:07
كانت ممن من مشركينك والمشرك ظالم بل اظلم الظلم هو الشرك بالله اذا ففهم التفظيل واضح من قوله جل وعلا والله لا يهدي القوم الظالمين فليسوا على هدى والظالمون من هم - 00:08:36
هم المشركون ميز الفريق المفضل بوضوح وقال جل وعلا الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون الذين امنوا الايمان قول وعمل واعتقاد - 00:09:04
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والايمان باللغة اللغة هو التصديق والايمان في الشرع لا يصح ان نقول به هو التصديق وقد قال بعض العلماء بذلك وهذا خطأ لان مجرد التصديق لا يحصل به ايمان - 00:09:47
ومثل من رد على ذلك مثل بتصديق ابي طالب ابو طالب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم بلا شك لكن هل هو مؤمن لا الامن؟ لا فبعض العلماء عرف الايمان الشرعي بانهم تصديق - 00:10:27
ورد عليه وممن رد الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال لا يجوز ان يعرف الايمان الشرعي بانه التصديق لان ابا طالب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا - 00:11:00
وليس بمؤمن اذا فالايمان الشرعي ما هو قول وعمل واعتقاد ان وجدت هذه الثلاثة المرء مؤمن وان اختلت اليس بمؤمن فان قال وعمل بدون اعتقاد فهو المنافق وان اعتقد وقال ولم يعمل - 00:11:23
فهو المرتد عليه ان يعمل ويلزم بالعمل فان لم يعمل قتل اذا ترك الصلاة وقال انا اعتقد ان الله جل وعلا هو المستحق للعبادة ولا اصرف شيئا من انواع العبادة لغير الله - 00:12:02
وانطق بالشهادتين الا انه لا يصلي فهل يصح ايمانه؟ لا بل يكونوا كافرا معتدا عن الايمان يستتاب فان تاب والا قتل اذا الايمان هو قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية - 00:12:29
الذين امنوا وهاجروا والهجرة ما هي الانتقال من بلد الشرك الى بلد الاسلام والمراد هنا المهاجرون الذين هاجروا من مكة حينما كانت بلد الكفر والشرك هاجروا الى المدينة الانتقال من بلده - 00:13:05
التي لا يستطيع اظهار دينه بها الى بلد الاسلام وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله الجهات يتأتى جهاد في سبيل الله وجهاد في سبيل غير الله - 00:13:34
من جاهد وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ومن قاتل حمية او شجاعة لاجل الرئاسة - 00:14:01
ونحو ذلك في سبيل من قاتل لاجله وليس في سبيل الله كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء يرى مكانه اي ذلك في سبيل الله - 00:14:24
فقال عليه الصلاة والسلام من قاتلة لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله من قاتل لهذا باعلاء كلمة الله في نصر دين الله باعزاز اولياء الله فهو في سبيل الله ومن لا - 00:14:52

والجهاد نوعان جهاد بالنفس وجهاد بالمال وكثيرا ما يقدم الله جل وعلا الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس وان كان الجهاد بالنفس كثيرا ما يدل على ايمان العبد اكثر من جهاده بماله - 00:15:19

لكن يقدم جل وعلا الجهاد بالمال غالبا لعله والله اعلم من اجل ان الجهاد بالمال يتعدى نفعه والرجل اذا جاهد بنفسه جاهد وحده واذا قدم ماله قد يجاهد بهذا المال مئات الرجال والاف الرجال - 00:15:49

الجهاد بالمال اعظم نفعا غالبا من الجهاد النفس في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله هذا صريح في التفضيل وانه لا لا استواء بين الطرفين بل هؤلاء اعظم درجة - 00:16:16

اعلى منزلة عند الله جل وعلا واولئك اي المتصفون بهذه الصفات المذكورة الايمان والجهاد والهجرة واولئك هم الفائزون الفوز الحقيقي والسعادة الحقيقية في الدنيا ام في الاخرة ام فيهما معا - 00:16:51

فيهما مع لان طاعة الله جل وعلا هي سعادة العبد في الدنيا والاخرة المؤمن في الدنيا سعيد وان قل ما له وقل جاهه. لانه يشعر انه مطيع لله جل وعلا - 00:17:20

تجد ضميره مرتاح ومرتاحة نفسه لانه يشعر انه ادى ما افترظ الله عليه قام بوظيفته الحقيقية في هذه الحياة وهي عبادة الله جل وعلا لان الله جل وعلا يقول وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون - 00:17:44

فمن اتصف بهذه الصفات فهو سعيد في الدنيا يشعر بالسعادة والراحة النفسية وطمأنينة القلب وسعادة الاخرة حينما يقدم على ربه جل وعلا ويجازيه بعمله الصالح ثوابا جزيلا واولئك هم الفائزون - 00:18:10

يبشرهم برحمة منه ورضوان البشارة الاخبار بخبر سار تبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وورد ان العبد المؤمن يبشر بمنزلته في الجنة قبل ان ينتقل من الدنيا عند الاحتضار عندما يحتضر المؤمن - 00:18:47

يبشر بمنزلته في الجنة فيسر بذلك ويفرح بلقاء الله فيفرح الله جل وعلا بلقائه كما ورد في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه - 00:19:26

قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله كان لقاء الله الموت فكلنا يكره الموت قال ليس كذلك يا عائشة. ولكن العبد المؤمن اذا احتضر جاءته ملائكة الرحمة فبشرته بما اعد الله له في الاخرة - 00:19:54

ويفرح بذلك ويسر بلقاء الله فيحب لقاء الله يحب الموت في هذه الحال ايحب الله لقاءه والعبد الكافر والمنافق اذا احتضر جاءته ملائكة العذاب فاخبرته بما اعد الله له في الدار الاخرة من العذاب - 00:20:13

الشديد فيكره الموت ويكره لقاء الله فيكره الله جل وعلا لقاءه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان يخبرهم جل وعلا برحمته لهم ويبشرهم ويخبرهم برظوانه عليهم ويخبرهم بالجنة لانه اعد لهم - 00:20:37

النعيم المقيم في الجنة وجنات لهم فيها يعني في الجنة نعيم مقيم دائما وابدا والتنكير في قوله جل وعلا يبشرهم ربهم برحمة رحمة ورضوان برحمة عظيمة ورضوان عظيم وجنة عظيمة - 00:21:08

لان التنكير يأتي احيانا التعظيم ويأتي احيانا للتحقير ويأتي للتقليل ويأتي للتكفير بحسب سياق الكلام خالدين فيها تأكيد فيما سبق والا فقوله جل وعلا لهم فيها نعيم مقيم. مقيم يعني مستمر - 00:21:42

اكد ذلك بقوله خالدين فيها واكد هذا الخلود بالابدية خالدين فيها ابدا ثم ختم الاية لقوله جل وعلا ان الله عنده اجر عظيم كالتعليل لما سبق لما يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها ابدا - 00:22:14

لان الله جل وعلا عنده اجر عظيم لان الله جل وعلا يعطي العطاء الجزيل فهو واجد ماجد جل وعلا يعطي عطاء جزيلا عطاؤه لا يحد بحد او مقدار فقد يقول قائل - 00:23:00

هذا العطاء لعبد واحد فما بالك بكل من اطاع الله هل يسع فضل الله جل وعلا العبادة الصالحين كلهم قالوا نعم ولما لان الله عنده اجر عظيم فهو جل وعلا - 00:23:32

يثيب الثواب الجزيل على العمل اليسير اذا علم من عبده الاخلاص والرغبة فيما عنده والله اعلم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم - 00:24:02
في الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة الله واولئك هم الفائزون - 00:24:35
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالد فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال العماد ابن كثير رحمه الله قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الاية قال ان المشركين - 00:25:01
قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن امن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال فقال لاهل الحرم من المشركين قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم - 00:25:29
مستكبرين به سامرا تهجرون يعني انهم كانوا يستكبرون بالحرم قال به سامراء كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم فخير الله الايمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت - 00:25:55
بمعنى فضل وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به. وان كانوا يعمرون بيته ويحرمون به قال الله تعالى لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا انهم - 00:26:22
على العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلن تغني فلن تغني عنهم العمارة شيئا وقال ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية قال قد نزلت في العباس ابن عبد ابن عبد المطلب - 00:26:44
رضي الله العباس ابن عبدالمطلب رضي الله عنه حين اسر ببدر قال لان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي ونفك العاني. قال الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج الى - 00:27:03
قوله والله لا يهدي القوم الظالمين. يعني ان ذلك كله كان في الشرك. ولا اقبل ما كان في الشرك. وقال الضحاك. وكانت صحيفة العباس رضي الله عنه بالجاهلية هي سقاية الحاج. سقاية زمزم - 00:27:27
واقره النبي صلى الله عليه وسلم عليها بعد الاسلام وكان هو القائم عليها رضي الله عنه وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي من زمزم قال العباس ابنه الفضل يا فضل اذهب الى امك فاتي منها بماء للنبي صلى الله عليه وسلم - 00:27:45
قال عشقني من هذا فقال العباس يا رسول الله انهم يمسونه بايديهم وقال اسقني منه فاخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم وشرب وجاء الى من ينكح من زمزم فقال انزعوا فلولا ان تغلبكم فانكم على عمل صالح - 00:28:12
فلولا ان تغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم اشعارا لهم بان سقي ماء زمزم عمل جليل يثاب عليه فاعله مع الايمان بالله نعم. وقال الضحاك ابن مزاحم اقبل المسلمون على العباس واصحابه الذين اسروا يوم بدر. يعيرونهم بالشرك فقال العباس - 00:28:36
اما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فانزل الله اجعلتم غاية الحاج الاية وقال عبد الرزاق اخبرنا ابن عيينة عن عن اسماعيل عن الشعبي - 00:29:04
قال نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلما في ذلك. وقال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب ابن لهيعة عن ابي صخرة قال سمعت محمدا ابن كعب القرظي - 00:29:24
يقول افتخر طلحة ابن شيبة من بني عبد الدار وعباس ابن عبد المطلب وعلي ابن ابي طالب. فقال طلحة انا صاحب البيت معي مفتاحه ولو اشاء بت فيه. وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها. ولو اشاء بت في المسجد. فقال علي - 00:29:41
رضي الله عنهما ادري ما تقولان. لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس. وانا صاحب الجهاد. فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج الا يهكل لها؟ وهكذا قال السدي الا انه قال افتخر علي والعباس وشيبة ابن عثمان - 00:30:05
وذكر نحوه فقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن عمرو عن عن عمرو عن الحسن قال نزلت في علي والعباس وعثمان وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما اراني الا اني - 00:30:27
تارك سقاء تارك سقايتنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خير ورواه محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه. وقد ورد في تفسير هذه الاية حديث مرفوع فلابد من ذكره هنا - 00:30:42

قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن يحيى ابن ابي كثير عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه ان رجلا قال ما الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج. وقال اخر ما ابالي الا اعمل عملا بعد - 00:31:03

الا ان نعمر المسجد الحرام. وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزج فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة - 00:31:23

لكن اذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه فنزلت اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله طريق اخرى قال الوليد ابن مسلم حدثني معاوية ابن ابن سلام ابن سلام عن جده ابي سلام الاسود عن النعمان ابن بشير - 00:31:42

رضي الله عنه قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فقال رجل منهم ما ابالي الا اعمل الا اعمل لله عملا بعد الاسلام الا نسقي الحاج - 00:32:05

وقال اخر بل عمارة المسجد الحرام وقال اخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر الخطاب رظي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة. ولكن اذا - 00:32:20

ليلة الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال ففعل. فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام؟ الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين. ورواه مسلم في صحيحه - 00:32:40

وابو داوود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن ابي حاتم في تفسيرهم وابن حبان في صحيحه - 00:33:00